المحاضرة الأولى

عنوان المحاضرة: مدخل إلى تاريخ الدولة العباسية

(تقييم للخلافة الأموية " مآثرها وعوامل ضعفها وسقوطها ")

تأسست الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية التي حكمت مدة 91 سنة من الزمن (40-132هـ / 661-750م) ،وتعاقب على حكمها خلال هذه الفترة 14 خليفة بداية بمعاوية بن أبي سفيان ،وانتهاء بمروان الثاني.

والدولة الأموية دولة عربية خالصة لأن العرب وحدهم شكلوا جوهرها ،وتولوا قيادتها وإدارتها ،ولأن عصرها عصر تفوق العنصر العربي وانتشاره في البلاد المفتوحة.

والمقصود بالدولة العربية تلك الدولة التي قامت بقيام الاسلام ،واتسعت عن طريق افتوحات الاسلامية الكبرى التي قام بها العرب على عهد الخلفاء الراشدين خاصة على عهد أبي بكر ،وعمر ،وعثمان ،ثم على عهد الدولة الأموية ،والتي انتهت بنهاية هذه الأخيرة.

تأسست الدولة الأموية بعد نهاية حكم الخلفاء الراشدين ،وتمكنت من التوسع شرقا وغربا بفضل الفتوحات الاسلامية التي عرفت على عهدها حركة نشيطة ،اذ امتدت رقعتها الجغرافية من بلاد السند والهند شرقا إلى بلاد المغرب والأندلس غربا ،انتشر خلالها العنصر العربي إلى هذه البقاع فتمكن من نشر اللغة العربية ،وترسيخ العقيدة الاسلامية لدى شعوب تلك المناطق ،هذا فضلا عن اعمارها ،والمساهمة في ازدهارها وتطويرها.

1- مآثر الدولة الأموية.

* - أنها زادت من مساحة الدولة الاسلامية الجديدة والتي اتسخت حدودها شرقا إلى أواسط آسيا ،وغربا إلى المحيط

والأندلس ،حيث فُتحت بلاد ما وراء النهرين على يد قتيبة بن مسلم ،وإقليم السند شمالي غرب الهند على يد محمد بن القاسم الثقفي ،والمهلب بن أبي صفرة ،وفُتحت بلاد الشام على يد خالد بن الوليد ،وبلاد مصر عى يد عمرو بن العاص ،وبلاد المغرب والأندلس على كبار القادة العرب ،عقبة بن نافع ،زهير بن قيس البلوي ،حسان بن النعمان ،وموسى بن نصير ،وغيرهم كثير.

* - صبغت الدولة الأموية المناطق المفتوحة بالصبغة العربية عن طريق انتشار العنصر العربي في تلك البلاد ،فكثير من القبائل العربية هاجرت إليها تاركة مواطنها الأصلية في شبه الجزيرة العربية بغرض العيش فيها والدفاع عنها ،ومن ثم اتخت هذه البلاد المفتوحة وطنا لها.

* - نشر اللغة العربية بفضل اقبال شعوب البلاد المفتوحة على تعلم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ،وكذلك بفضل تعريب الدواوين وحلول اللغة العربية محل اللغات المحلية كالفارسية والتركية ،واللاتينية واليونانية ،خاصة على الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك. فكان من نتائج ذلك اقبال الناس على تعلم اللغة العربية من أجل العمل في هذه الدواوين.

* - سك العملة العربية (الدينار) الذي حل محل العملة البيزنطية خاصة بالشام ومصر.

* - تدوين الحديث النبوي الشريف على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (101-99هـ) ،بعدما امتنع المسلمون عن ذلك طيلة العهود السابقة ،خاصة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نهاهم عن تدوين الأحاديث خشية أن ينشغلوا بذلك عن غيره من الأمور.

2- عوامل ضعف الدولة الأموية وسقوطها.

رغم انجازات الدولة الأموية وإسهاماتها الحضارية ،والانتصارات التي حققتها في فتوحاتها ،غير أنها لم تعمر أكثر من 91 سنة – وهذا عمر قصير جدا في عمر الدول- وذلك بسبب تضافر العديد من العوامل ،والتي من أهمها:

* **الصراعات القبلية:** بين القبائل العربية ،بين اليمنية والمضرية القيسية ،والتي عملت على نخر جسم الدولة من الداخل باستثناء عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز.

حيث كان الولاة أنفسهم إما يمنيين أو مضريين ،وكثيرا ما كانوا يتحيزون لعصبيتهم ،بل إن الكثير من خلفاء بني أمية من كان يتحيز لطرف على حساب الأخر ،وهذا ما زاد في تأجيج الصراع بين العصبيتين ،واتساع الهوة بينهما.

* **الحزب الشيعي:** وهم شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأنصاره الذين كانوا يرون أن الخلافة من حقه ،وحق ذريته من بعده والذين يعرفون بالعلويين.

وقد قام الشيعة بالعديد من الثورات عرفت بثورات العلويين ،والتي بعد أن فشلت انتقل أنصارها إلى السرية ، والعمل في الخفاء وفق ما تقتضيه سياسة التقية والتي تقول باتقاء خطر السلطة الحاكمة وخطر عمالها ،وقد وجد الشيعة في الأقاليم البعيدة عن مركز الخلافة مجالا خصبا لعملهم السري كإقليم خرسان ،وبلاد المغرب.

* **حزب الخوارج:** وهم الذين خرجوا على علي كرم الله وجهه ومعاوية في قضية التحكيم ،فهم لا يرون الخلافة حصرا على علي وذريته ولا في بيت أو جنس معين. بل يرون أن الخلافة لله وللأمة الاسلامية ،ويتم اختيار الخليفة على أساس استفاء شروط الخلافة ولو كان عبدا حبشيا. وقد اشترك الخوارج في الثورات والفتن التي قامت ضد الدولة الأموية ،وتمكنوا من نشر

دعوتهم بإقليم خرسان وبلاد المغرب باعتبارهما مجالا خصبا لنشاطهم ونشاط كل خارج عن الدولة ،لأنهما بعيدين عن مركز الخلافة.

* **تذمر الموالي:** الموالي هم شعوب البلاد المفتوحة الذين دخلوا الاسلام وحرموا من المساواة السياسية والاجتماعية مع العرب ،وحرموا كذلك من الوظائف السامية في الدولة ،ومن العطاء الذي يستحقونه نظير مشاركتهم صفوف جيوش الدولة ،بل كانوا يدفعون الجزية رغم إسلامهم – والتي لم ترفع عنهم إلا على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي قال: " إن الله قد بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا " ،وقد زاد عدد معتنقي الاسلام من الذميين على عهده.

وبموت عمر بن عبد العزيز عادت أمور الموالي إلى ما كانت عليه ،وفرضت عليهم الجزية من جديد ،وهذا ما أدى إلى استيائهم من الدولة الأموية ،وتذمرهم منها. فكانت نتيجة ذلك أن انضموا إلى كل خارج عن الدولة كالشعوبية التي هي حركة اجتماعية سياسية أدبية تنادي بالمساواة بين العرب وغير العرب. هدفها الطعن في السيادة العربية والجنس العربي ،وليس الطعن في الدين الاسلامي.

وكان موالي خرسان أكثر الموالي تذمرا لأنهم كانوا السابقين للإسلام من غيرهم،وشاركوا العرب في جهادهم ضد الأتراك والهنود ،ورغم ذلك حرموا من حقوقهم ،فكانت نتيجة هذا الشعور أن قاموا بالعديد من الثورات ضد الدولة الأموية ،من أشهرها ثورة أبو الصيداء صالح بن طريف الذي ثار ضد سوء معاملة وإدارة الأمويين سنة 108 هـ ،وثورة الحارث بن شريح سنة 116 هـ ،والذي ثار ضد تعسف الأمويين في معاملة الموالي ،وطالب بالعمل بالكتاب والسنة ،انضم إلى الأتراك في قتالهم للأمويين ،ثم عفي عنه بشفاعة من الوالي نصر بن سيار ،قبل أن يموت مقتولا سنة 128 هـ. وقد ساهمت هذه الحركات في ظهور الدعوة العباسية وانتشارها ،ثم قيام الدولة العباسية.

المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة: لتعريف بالدولة العباسية ومراحلها.

تعتبر الدولة العباسية من بين أعظم الدول في تاريخ البشرية عموما وتاريخ الدول الاسلامية على وجه الخصوص ،عاصمتها بغداد ،وكانت الكوفة عاصمتها الأولى ،مؤسسها الأول أبو

العباس السفاح ،ويعتبر الكثير من المؤرخين أبو جعفر المنصور مؤسسها الفعلي ،تعاقب على حكمها سبعة وثلاثين خليفة .عاصرت الدولتين البيزنطية في الشرق ،والكارولنجية بأوربا غربا.

1- نسب العباسيين:

يعود نسب الدولة العباسية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم ،وقد بدؤوا حركتهم في شكل دعوة سرية مستغلين في ذلك ضعف الدولة الأموية ،من انقسامات داخل البيت الأموي ،وانتشار العصبية القبلية خاصة في خرسان ،وتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ،وازدياد الحركات المناهضة للدولة خاصة الخوارج والعلويين .وشرعوا في التحضير للقضاء على حكمهم في سرية.

* **العباس بن عبد المطلب:** سميت الدولة العباسية باسمه ،هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عم الرسول صلى الله عليه وسلم ،لم يكن له مطمع في الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأخر إسلامه ،حيث أسلم ضرورة بعد فتح مكة ،لكن كان يطمح في تولية علي بن أبي طالب حين قال له:" أمدد يدك لنبايعك " .توفي سنة 32هـ في خلافة عثمان بن عفان ،ترك أولادا كثر من بينهم عبد الله ابنه الثاني الذي ينحدر من نسله البيت العباسي.

* **عبد الله بن العباس:** صحابي جليل متفرد بعلمه لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبر الأمة كان يؤخذ عنه رواية الحديث وتفسير القرآن .لم يكن له طمع في الخلافة لإيمانه بأحقية علي كرم الله وجهه بها ،والذي ولاه على البصرة وأعمالها .وبعد مقتل علي رضي الله عنه عاد إلى الحجاز وأقام بالطائف مسالما للأمويين حتى وفاته سنة 68هـ في خلافة عبد الملك بن مروان .ولد له ولد ليلة مقتل علي كرم الله وجهه فسماه باسمه عليا.

* **علي بن عبد الله بن العباس:** ولد ليلة مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سنة 40هـ ،أقطعه الخليفة الأموي منطقة بالبلقاء شرق الأردن تسمى الحميمة التي استقر بها حتى وفاته سنة 118هـ ،من أبنائه محمد.

* **محمد بن علي بن عبد الله بن العباس:** شخصية قوية ،وهو أول بني العباس الذين أظهروا سعيهم للخلافة ،ونظم حركة سرية لنيلها ،ومهد الطريق لابنيه أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور لتأسيس الدولة العباسية.

2- انتقال الامامة من العلويين إلى العباسيين:

انضم العباسيون في بداية أمرهم إلى الحركة الهاشمية التي تنسب إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[1] والتي تعرف كذلك بالمختارية نسبة إلى المختار بن عبيد

[1] - هي خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي من بني حنيفة باليمامة .

الثقفي ،وتنسب أحيانا إلى قائد حرسه أبو عمرو كيسان فتسمى الكيسانية[2] ،والتي كانت تضم آل علي وآل العباس لعلمهم يقينا أن غالبية المسلمين يرون أن أبناء علي كرم الله وجهه من فاطمة الزهراء رضي الله عنها أصحاب الحق الشرعي في الخلافة من غيرهم. وقد انضم إلى الحركة الهاشمية العديد من الموالي العجم.

ويسوق العباسيون قصة جعلوها سندهم الشرعي في أحقيتهم بالخلافة مفادها أن أبا الهاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ،وقبل مقتله من سم دسه له سليمان بن عبد الملك الأموي ذهب إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالحميمة[3] - التي كان قد نزل بها رفقة والده بعدما أقطعه إياها الوليد بن عبد الملك – وأعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده ،ثم أخبره بما يصنع ،وبأسماء دعاة الشيعة -والذين أغلبهم من أصول فارسية- بالكوفة والعراق وخرسان ،والذين كان بدوره قد أعلمهم بأن الخلافة صائرة إلى ولد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ،كما كان أبا هاشم قد سلم لمحمد بن علي كتبا يبعث بها إلى هؤلاء الدعاة تؤكد وصيته. وعلى إثر وفاة أبي هاشم قصد هؤلاء الدعاة محمد بن علي وبايعوه اماما عليهم ،وبذلك ورث حق الكيسانية في الامامة .

غير أن الكثير من المؤرخين يشككون في رواية العباسيين بخصوص انتقال الدعوة من العلويين إليهم ،وذلك لأسباب التالية:

1- إذا كان هذا التنازل قد حصل فعلا فلماذا لم يفصح عنه العباسيون ،ولم يحددوا اسم الخليفة العباسي عند بداية دعوتهم واكتفائهم بآل محمد أو آل البيت ،وإن كان الغرض من ذلك هو التمويه أو التعمية.

2- اجتمع العلويون والعباسيون مع قرب نهاية الدولة الأموية واتفقوا على أن تكون الخلافة إلى محمد النفس الزكية حفيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،وكان أبو جعفر المنصور حاضرا في هذا الاجتماع. فلماذا لم يعترض على ذلك ،وكان بإمكانه الاعتراض على هذا القرار استنادا على ما بين يديه من الرسائل التي تم بها التنازل عن الدعوة للعباسيين حسب روايتهم.

3- أن العباسيين لما استقر لهم الأمر حاولوا أن يضفوا على خلافتهم شيء من الشرعية بتطبيق قانون الوراثة في الشريعة الاسلامية والذي يقضي بأن العم مقدم عن ابن البنت في الوراثة والعصبية ،على اعتبار أنهم من نسل العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،والعلويون من نسل فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[2] - تقول الكيسانية بعودة محمد بن الحنفية الذي ذهب إلى مقره في السماء ،وهي حركة تؤمن بتناسخ الأرواح وعودة الامام بعد موته ،كما تقول بأن لكل ظاهر باطن ولكل شخص روح ،ولكل تنزيل تأويل ،وقد أدى فكرها هذا إلى تسرب الكثير من العقائد غير الاسلامية إلى أفكارهم.

[3] - منطقة قرب الشوبك من اقليم البلقاء قرب الأردن.

4- لقد استغل العباسيون فرصة الصراع العلوي الأموي ،خاصة بعد وفاة أبي هاشم بن محمد بن الحنفية آخر أئمة الشيعة الكيسانية والذي لم يكن له ولد يرثه ،فاندمجوا في الشيعة الكيسانية ووضعوا تلك الرواية مستغلين فرصة وجودهم بالحميمة وإطلاعهم على كل ما يخص ويحيط بالعلويين. لذلك كانت الدولة العباسية شيعية الدعوة سنية الخلافة.

3- الدعوة العباسية ومراحلها.

أ- مرحلة الدعوة السرية.

كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مستنيرا ،يتميز بالذكاء الحاد ،ورجاحة العقل ،وحسن البصيرة ،فقرر أن تكون دعوته سرية بعيدا عن مركز الخلافة ،وأن تعتمد على العناصر المؤيدة لآل البيت والمناهضة للدولة الأموية ،كما أشاع أن الخلافة تكون وفق مبدأ الرضا من آل محمد أي في شخص من آل البيت يتم الاتفاق عليه في الوقت المناسب ،وكل ذلك درء وتقية مما قد يصيب الدعوة من أخطار إن اكتشف الأمويون أمرها.

وبذلك وضع محمد بن على أسس الدعوة العباسية التي عممها على العلويين والأمويين لإبعاد الشبهات عن نواياه الحقيقية ،وبتوجيه من أبيه اختار الكوفة وخرسان مراكز لدعوته ،وذلك لأن الأولى قاعدة الشيعة ومهد دعوتهم ،والثانية لبعدها عن مركز الخلافة بدمشق ،ولأن الخرسانيين أسهل

انقيادا للعباسيين ،وبلادهم أكثر الأقاليم استعدادا لنصرة الدعوة بسبب تذمرهم من الأمويين وعدائهم لهم ،ولأن الأقاليم الأخرى كما قال محمد بن علي لأتباعه: " أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ،وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف وتقول كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ،وأما الجريرة[4] فحرورية مارقة ،وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وجماعة بني أمية وطاعة بني مروان ،وأما المدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ،ولكن عليكم بخرسان[5] فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ،وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتوزعها النحل ولم يقدحا الفساد وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب ،وأصوات هائلة ،ولغات فخمة تخرج من لغات منكرة."

ولضمان سرية الدعوة طلب محمد بن عبد الله من الدعاة والنقباء[6] بالتنكر في زي التجار والحرفيين والمتصوفة ،ويسلكون الطريق التجاري الرئيسي الرابط بين الكوفة وخرسان ،وأن لا يتصلوا بالحميمة إلا عن طريق داعي الدعاة بالكوفة ،ومن بين أشهر الدعاة ميسرة العبدي

---

[4] - منطقة شمال الشام سيطر عليها الخوارج.

[5] - منطقة الهضبة الايرانية الممتدة إلى بلاد ما وراء النهرين ،أهلها من الساخطين على الحكم الأموي لأنهم يفضلون عليهم العنصر العربي.

[6] - قسم محمد بن عبد الله أتباعه إلى دعاة يشرف كل واحد منهم على 12 نقيبا ،وكل نقيب يشرف على 70 عاملا ،ولكل عامل خلايا سرية يشرف عليها.

،وأبي عكرمة السراج ،وحيان العطار ،وبكير بن ماهان ،وأبو سلمة الخلال ،وقد تميز الدعاة بإخلاصهم الشديد للدعوة ،والتفاني في نشرها ،كما تميزوا بالفطنة والذكاء ،والقدرة على الاقناع ،وبالبراغة في التنكر والتخفي ،هذا فضلا عن تمكنهم من العلوم الدينية واللغوية.

من أشهر الدعاة الذي تبنوا الدعوة العباسية ،بكير بن ماهان داعي الدعاة العباسيين في العراق وإليه يعود الفضل في تنظيم الدعوة العباسية في المنطقة ،وقد خدمها مدة 22 سنة بفكره وماله ،خاصة وأنه كان ميسور الحال. وأبو سلمة الخلال وهو حفص بن سليمان الفارسي قادة الدعوة في العراق خلال الخمس سنوات الأخيرة التي سبقت قيام الدولة العباسية.

أما بإقليم خرسان فقد تصدى والي الأمويين أسد بن عبد الله القسري لدعاة العباسيين رغم سرية عملهم ،وقام بالقضاء على حركتهم التي لم يكتب لها النجاح إلا بعد وفاته سنة 120 هـ ،ومن بين الدعاة الذين ظفر بهم أسد بن عبد الله وقضى عليهم ،أبو عكرمة السراج ،ومحمد بن خنيس ،وأبو محمد زياد ،وسليمان بن كثير ،ومالك بن الهيثم ،وموسى بن كعب ،وعمار بن يزيد الخداش الذي دعا في بداية الأمر لآل البيت ،ولما اجتمع حوله الناس وأطاعوه دعاهم إلى دين الخرمية[7] قبل أن يظفر به أسد ويأمر بقطع لسانه ثم قتله.

وأما الشعارات التي رفعها العباسيون لاستمالة الناس فتمثلت في المساواة بين الرعية عربهم ومواليهم ،ومحاربة الظلم والتعسف ،والعودة إلى الكتاب والسنة ،وبذلك ازداد عدد المؤيدين للدعوة للرضا من آل محمد ،والتي انتشرت ببلاد خرسان وفارس وخوارزم وبلاد ما وراء النهر.

توفي محمد بن عبد الله سنة 125 هـ وخلفه ابنه إبراهيم الذي تولى أمر الدعوة العباسية وهي تعاني من التضييق عليها في خرسان ،وانقطاع الاتصالات بينها وبين الحميمة ،الأمر الذي دفعه إلى ايجاد حل لهذه المشكلة ،والبحث عن وسيلة تربط نقيب خرسان بالحميمة دون الرجوع إلى داعي الدعاة بالكوفة ،فوجدها في شخص أبي مسلم الخرساني الذي عرفه عن طريق أبي مسلم الخلال الذي كان نقيب الكوفة بعد وفاة بكير بن هامان .

أمر الامام ابراهيم بن محمد العباسي أبا مسلم الخرساني بتولي أمور خرسان بعد أن تولى أصول الدعوة في الكوفة ،وقد قام هذا الأخير بمهمته على أكمل وجه إذ تمكن بفضل دهائه ونشاطه وكرمه من جمع عدد كبير من الأتباع للدعوة العباسية التي أصبحت لها قوة تعتد بها ،وكان ذلك سنة 127هـ ،وبذلك تبدأ مرحلة الدعوة العلنية.

ب- مرحلة العلنية.

[7] - الخرمية حركة دينية خارجة عن الاسلام تبيح للرجال نساء بعضهم البعض ،وتنكر الصلاة والصوم والحج ،ترى أن الصلاة تعني الدعاء لإمامهم ،والصوم يعني الصوم عن ذكره ،والحج يعني القصد إليه.

قام أبو مسلم بأمر الدعوة العباسية في إقليم خرسان وتمكن من ضم غالبية أهلها ،وهم من الموالي الفرس ،ثم أخذ في استمالة القبائل العربية اليمنية مستغلا في ذلك خصوماتهم مع القبائل الغربية المضرية ،خاصة وأن والي خرسان نصر بن سيار فشل في الإصلاح يبنهما. زاد فشل ابن سيار في التوفيق بين اليمنية والمضرية من شوكة أبا مسلم فجهر بالدعوة العباسية ،واتخذ راية سوداء ،أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يتخذ راية سوداء يتوسطها هلال أثناء محاربته للكفار.

أمام تزايد خطر أبي مسلم الخرساني راسل نصر بن سيار الخليفة مروان بن محمد الأموي يطلب منه المدد ،لكن هذا الأخير كان منشغلا بإخماد فتنة الخوارج ،وطلب من مواجهة أبا مسلم بما لديه من جند قائلا له: " احفظ ناصيتك بجندك. "

تمكن ابن سيار من التعرف على هوية الامام الهاشمي الذي قامت باسمه هذه الدعوة وهو الامام ابراهيم ،وذلك من خلال رسالة بعث بها هذا الأخير لأبي مسلم ،وتمكن من القاء القبض عليه وسجنه قبل أن يأمر بقتله.

وكان الامام ابراهيم قد أوصى بالإمامة من بعده لأخيه أبي العباس ،وطلب من اخوته وأهله الرحيل إلى الكوفة التي أقاموا فيها سرا ،وكان أبو سلمة الخلال يتدبر أمرهم ويقوم على شؤونهم ،في الوقت نفسه كان أبو مسلم قد استولى على مدينة "مرو" حاضرة اقليم خرسان ،وكان ذلك سنة 132 هـ.

حاول نصر بن سيار الفرار إلى العراق ،فقتل في طريقه إليها بمنطقة الري عن عمر يناهز الواحد والثمانين سنة .واصلت الجيوش العباسية الزحف نحو العراق التي فر واليها يزيد بن هبيرة إلى مدينة واسط جنوب العراق والتحصن بها. وفي الكوفة استسلم واليها محمد بن خالد بن عبد الله القصري.

دفعت هذه الانتصارات بأبي العباس إلى الخروج من مخبئه والإعلان عن دعوته لأول مرة بعدما بويع بالخلافة ،وألقى خطبته الشهيرة التي قيل أنها ارتجالية ،غير أن جل المصادرة اتفقت على أنها كانت مهيأة ومحضرة لهذا اليوم لقوة عباراتها ،ولأن عمه داوود بن علي أتمها مكانه بعدما لم يستطع إكمالها لمرضه.

بعد ترتيب أموره أرسل أبو العباس السفاح عمه عبد الله بن علي للقضاء غلى الخليفة الأموي مروان بن محمد الذي فر إلى مصر بعد هزيمة جيشه ،ولحقت به الجيوش العباسية حتى تمكنت من قتله بمدينة بصير وسط مصر سنة 132 هـ. وبذلك لم يبق من أثر الحكم الأموي إلا يزيد بن هبيرة الذي كان يتحصن بمدينة واسط ،والذي استسلم لأبي جعفر المنصور بعدما بلغه مقتل الخليفة محمد بن مروان. فكان ذلك ايذانا بسقوط الدولة الأمية ،وقيام الدولة العباسية.

المحاضرة الثالثة.

عنوان المحاضرة: لعصر العباسي الأول (232-132 هـ/750-847 م).

اتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة العباسية إلى أربعة عصور هي:

العصر العباسي الأول أو دور النفوذ الفارسي (132 -232 هـ / 750 – 847 م).

العصر العباسي الثاني أو دور النفوذ التركي (232 – 334 هـ / 847 – 945 م).

العصر العباسي الثالث أو دور النفوذ البويهي الفارسي(334– 447 هـ / 945 – 1055م).

العصر العباسي الرابع أو دور النفوذ السلجو

قي التركي (447–656 هـ/ 1055– 1258م).

التعريف بخلفاء العصر العباسي الأول وأهم انجازاتهم.

1- الخليفة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي (السفاح) (132 – 136 هـ/ 750 – 754م):

هو أول خليفة عباسي ولد بالحميمة سنة 104 هـ من أم عربية ،بويع له بالكوفة ،وكان يومها مريضا فأتم الخُطبة عنه عمه **داوود بن علي** وناب عنه في أخذ البيعة من الناس **أبو جعفر.** لقب بالسفاح استنادا للعبارة التي وردت في خطابه: " أنا السفاح المبيح والثائر المبيد ". ولفظ السفاح يحتمل عدة معاني ،فقد يعني السفاك للدماء -لكثرة المذابح التي حدثت على عهده- وقد يعني السخي الكريم استنادا إلى ما جاء في خطابه لأهل الكوفة: "... أنتم أهل محبتنا ومنزل مودتنا وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم ... فأنا السفاح المبيح ..." ،وقيل لقب السفاح المقصود به العم وليس الخليفة.

* **تحليل خُطبة أبي العباس:** من خلال التمعن في خطبة أبي العباسي يمكننا الوصول إلى عدة استنتاجات من أهمها:

- أن بني العباس ليسوا طالبي مال ولا جاه ولا سلطان ،وإنما هم ثائرون على الظلم والابتزاز وضياع الحقوق ،مطالبين بحقوقهم الشرعية التي أعطاها الله لهم.

- أن بني العباس سيعيدون الحكم إلى أصله أي الحكم بما أنزل الله وبسنة نبيه التي سيُحيونها باعتبارهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- في الخطبة وعد ووعيد ولين وخشونة ،كما فيها استمالة واضحة للناس ومحاولة لكسب مودتهم من خلال الاعلان عن اجزال العطاء و الزيادة في الأعطيات.

- في الخطبة ثقة كبرى في نفوس بني العباس حول قوة دولتهم واستمراريتها ودوام بقائها.

أعمال أبو العباس السفاح:

* البحث عن عاصمة لدولته:

بويع أبو العباس بالكوفة التي كان مقيما بها ،لكنه لم يكن مطمئنا لأهلها ،فغادرها ونزل بمكان قريب منها معروف بهاشمية الكوفة سنة 132هـ حتى سنة 134هـ أين غادره إلى مدينة الأنبار -شمالي الكوفة- حيث بنى مدينة له بجوارها عرفت بهاشمية الأنبار ،وهي المدينة التي استقر بها حتى وفاته سنة 136هـ.

* اخماد الفتن والثورات الداخلية:

من أهم المشاكل التي واجهت أبي العباس السفاح الفتن والثورات الداخلية والتي واجهها بشدة وحزم ومن أشهرها ثورة حبيب بن مرة بإقليم البثينة بفلسطين ،وثورة أبي الورد في الشام ،وثورة ابن اسحاق بن مسلم أحد قادة مروان بن محمد بالجزيرة شمالي العراق.

* مواجهة البيزنطيين:

في الوقت الذي كانت فيه الدولة العباسية الفتية تواجه الفتن والاضطرابات الداخلية هاجم البيزنطيون ثغورها الشمالية مستغلين فرصة انشغال أبي العباس بمواجهة تلك الفتن ،فما كان من هذا الأخير إلا أن أرسل عمه عبد الله بن علي واليه على الشام على رأس حملة عسكرية لرد تلك الهجمات وتأمين حدود الدولة الشمالية وكان ذلك سنة 136هـ ،لكن أبو العباس توفي وعبد الله بن علي في طريقه لانجاز مهمته التي عدل عنها بعدما وصله خبر وفاة الخليفة واستغل القوات التي كانت معه لمواجهة الخليفة الجديد – أبو جعفر المنصور- وانتزاع الخلافة منه.

2- الخليفة أبو جعفر المنصور (158-136هـ/754-775م):

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الملقب بالمنصور ولد سنة 101هـ بالحميمة من أم ولد اسمها سلمة ،كان في الحج يوم وفاة الخليفة أبي العباس ،فأخذ له البيعة ابن أخيه عيسى بن موسى فبايعه كل الناس إلا عمه عبد الله بن على والي الشام.

تولى أبو جعفر المنصور الخلافة والدولة لا تزال فتية تعاني الكثير من الاضطرابات والفتن الداخلية ،وتواجه الكثير من الأخطار الخارجية ،غير أنه استطاع وبفضل حنكته ودهائه القضاء على تلك المشاكل والأطماع ،بل واستطاع أن يدعم أركان الدولة لذلك يعتبره الكثير من المؤرخيين المؤسس الحقيقي والفعلي للدولة العباسية على اعتبار أنه لم يرث عن أخيه دولة بل ورث عنه مشاكل في كل الميادين.

أهم أعمال الخليفة أبي جعفر المنصور:

* التخلص من عمه عبد الله بن علي:

كان الخليفة أبو العباس السفاح قد أرسل عمه ووالیه على الشام عبد الله بن علي لرد الهجمات البيزنطية على الحدود الشمالية لدولته ،لكنه توفي في نفس السنة -136هـ- ،ولما علم عبد الله بن علي بوفاته أوقف الحملة وأعلن نفسه خليفة مدعيا أن أبا العباس السفاح كان قد عينه وليا للعهد عندما أرسله لقتال مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ،أمام هذا الوضع أرسل الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور قائده أبا مسلم الخرساني لرد تمرد عمه ،فتمكن من الانتصار عليه بعد ستة أشهر من الاقتتال بينهما وكان ذلك سنة 137هـ ،ففر عبد الله بن علي إلى أخيه سليمان والي البصرة الذي سلمه إلى المنصور سنة 139هـ بعد أن أخذ له الأمان ،فقام المنصور بسجنه قبل أن يتخلص منه سنة 147هـ.

* التخلص من أبي مسلم الخراساني:

بعد انتصار أبي مسلم الخرساني على عبد الله بن علي ازداد طغيانه إلى درجة أنه كان يسخر من كتاب الخليفة بعد أن يقرأه كما يذكر الطبري ،وكان أبو جعفر يتوجس خيفة من أبي مسلم منذ عهد سلفه الخليفة أبي العباس ،حيث كان يلح عليه لقتله إذ كثيرا ما كان يقول له: " لست خليفة ما دام أبو مسلم حي" ،لكن الخليفة كان يرفض له ذلك لحاجته لأبي مسلم ،وكذلك لكي لا يثور عليه أهل خراسان ،لكنه قام بمضايقته ومن ذلك أنه بعث بأبي جعفر المنصور إلى الحج في نفس السنة التي حج فيها أبو مسلم حتى يؤمره عليه ،وقد ضايقه هذا الأمر كثيرا لدرجة أنه قال: " أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا ".

وبعد انتصار الخرساني على عبد الله بن علي أراد أبو جعفر أن يشعره بأنه أحد عماله فأرسل من يحصي عليه الغنائم ،فأغضبه ذلك وقال: " أُؤتمن على الأرواح ولا أُؤتمن على

الأموال" فأساء إلى أبي جعفر وأراد قتل رسوله ،ثم خرج غاضبا إلى خرسان ،الأمر الذي رأى فيه أبو جعفر خطرا على دولته إن اعتصم أبو مسلم بخراسان وأهلها وحاول الاستقلال بحكمها ،لأنه حين ذلك يصعب عليه اخضاعه أو التغلب عليه.

لإبعاده عن منطقته كتب أبو جعفر المنصور لأبي مسلم يوليه على الشام ومصر ،لكنه تفطن لذلك ولم يرد على كتابه ،عندئذ اتبع معه المنصور أسلوب اللين والدهاء فكان يسترضيه تارة ويرسل إليه من يخيفه من مغبة معصية الخليفة تارة أخرى ،ويذكر الطبري في الجزء الثالث من كتاب الأمم والرسل أن المنصور ما زال على هذا الأسلوب حتى ذهب إليه الخرساني والتقاه بالمدائن ،فأحسن استقباله وأكرمه ،ثم ما لبث أن واجهه بالتهم المنسوبة إليه ،وكان أخطرها محاولة وصوله إلى الخلافة عن طريق النسب العباسي ،وبعد أن انتهى المنصور من مواجهة أبي مسلم أمر بقتله.

اضطربت خرسان كلها لمقتل أبي مسلم وظهرت بها جراء ذلك فرق دينية غريبة عن الإسلام عرفت بحركات الزندقة ،وهي فرق تظهر الإسلام وتبطن الديانات المجوسية القديمة ،وأعلنت الثورة على الدولة العباسية متخذة من مأساة أبي مسلم وسيلة لإحياء تلك الديانات معتبرة إياه رمزا من رموزها. غير أن أبا جعفر المنصور واجه هذه الحركات بحزم وقوة ،ومن بينها:

***الحركة المسلمية:**

نسبة لأبي مسلم والتي تزعمها رجل يدعى سنباد المجوسي الذي قاد ثورة في نيسابور سنة 137هـ مناديا بإمامة أبي مسلم وقال بأنه لم يمت ولن يموت حتى يظهر ويملأ الأرض عدلا ورحمة ،وكانت مبادئ هذه الحركة هي مبادئ الخرمية[8] والمزدكية القديمة.

اضطر المنصور إلى مواجهة هذه الحركة بنواحي طبرستان بعد سبعين يوما من قيامها ،حيث تمكن من القضاء عليها بعد أن قضى على زعيمها سنباد المجوسي.

***الحركة الراوندية:**

نسبة إلى قرية راوند قرب أصفهان ،أتباعها يعتقدون بتناسخ الأرواح ،ويقولون أن روح آدم حلت في الأنبياء واحدا بعد الآخر حتى حلت في أبي مسلم ،وأن روح الله حلت في أبي جعفر المنصور ،وقد سافر بعضهم من خرسان إلى هاشمية الكوفة سنة 141هـ وأخذوا يطوفون بقصر الخليفة وينادون المنصور: "أنت ربنا" ،فحاربهم المنصور بشدة وعنف حتى قضى عليهم.

8 الخرمية زوجة مزدك فرت بعد مقتله سنة 531م من المدائن إلى الري واستمرت تبشر بمبادئه التي تقوم على شيوعية الأموال والنساء كوسيلة لإزالة الخلافات بين الناس واستمر هذا المذهب حتى مجيء أبي مسلم الذي نجح في ضمهم لأنصار الدعوة العباسية.

***حركة المقنع الخرساني:**

نسبة إلى المقنع هاشم بن الحكم وهي شبيهة بالراوندية وتحمل مبادئها حاربها المنصور وقضى عليها.

*** حركة اسحاق التركي:**

من أعوان أبي مسلم الخرساني فر بعد مقتل سيده وزعم أنه لم يقتل وسيعود ،تمكن العباسيون من استئصال هذه الحركة.

*** الحركة البهافريدية:**

وهي من أصل الزرادشتية تنسب إلى البهافريد وهو متنبئ فارسي ظهر بنيسابور ،من مبادئ هذه الحركة احلال الخمر وأكل الميتة ونكاح المحارم ،فتل زعيمها على يد أتباع أبي مسلم الخرساني.

*** القضاء على ثورة العلويين:**

تزعم هذه الثورة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية بمساعدة أخيه ابراهيم ،وقد كان محمد النفس الزكية يرى بأنه أحق بالخلافة من العباسيين استنادا إلى حقه الشرعي بصفته حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب ومبايعة الهاشميين له .

وكان المنصور من قبل يشك في نوايا محمد النفس الزكية ويخشى طموحه في الخلافة ،فأرسل من يستطلع أخباره وأوعز إلى ولاته في الحجاز بمراقبة بني الحسن والتشديد في ذلك. وفي سنة 144هـ أمر بإلقاء القبض على جميع آل الحسن ،وسجنهم بالكوفة بتهمة تسترهم على محمد التنفس الزكية.

ولإخراج محمد النفس الزكية من مخبئه دس أبو جعفر المنصور عيونا بين أنصاره وأتباعه وأخذوا يوهمونه بأن دعوته قد عمت الأقطار وقد آن له أن يجهر بدعوته ،فصدقهم وأعلن الثورة بالمدينة المنورة على العباسيين سنة 145هـ ،وأرسل إلى أخيه ابراهيم يطلب منه الثورة في البصرة جنوب العراق لجعل المنصور بين شقي رحى ،غير أن ابراهيم أخر ثورته مدة شهرين بسبب مرض ألم به مما أتاح للمنصور فرصة القضاء على الأخوين الواحد بعد الآخر.

*** تهدئة الحركات الانفصالية في المغرب:**

ظهرت في المغرب دولتان هما:

*** دولة بني مدرار (بني واسول) بسجلماسة:**

هي دولة من الخوارج الصفرية –نسبة إلى زياد بن محمد الأصفر- تأسست هذه الدولة بمنطقة سجلماسة بالجنوب الشرقي من المغرب الأقصى سنة 140هـ/750م على يد عيسى بن يزيد المكناسي الصفري ،وتسمى بدولة بني مدرار نسبة لثالث ملوكها أبي القاسم بن واسول الملقب بمدرار بداية من سنة 160هـ/776م .

*** الدولة الرستمية:**

هي دولة من الخوارج الاباضية – نسبة إلى عبد الله بن اباض - تأسست سنة 144هـ/760م على يد عبد الرحمن بن رستم –وهو من أصل فارسي- بمدينة تيهرت التي بنيت سنة 150هـ .

لم يقف المنصور مكتوف اليدين أمام هذه الحركات بل أرسل حملات عسكرية برية وبحرية إلى بلاد المغرب لإعادته إلى سلطة الخلافة العباسية غير أنه فشل في ذلك باستثناء المغرب الأدنى الذي تمكن القائد محمد بن الأشعث والي المنصور على مصر من السيطرة عليه وإبقائه تحت السلطة العباسية.

*** تأسيس مدينة بغداد:**

اختار لها المنصور موقعا استراتيجيا على ملتقى المسالك البرية والنهرية بين دجلة والفرات ،تجمع بين الوظائف السياسية والعسكرية والاقتصادية ،اختطها مدورة الأسوار ،لها أكثر من سور وأربعة أبواب كبرى ،أطلق عليها اسم مدينة السلام ،وضع الحجر الأساسي بها سنة 145هـ ودام بناؤها مدة خمس سنوات ،اشتغل في بنائها أكثر من مائة ألف عامل ،وسخر لبنائها آلاف المهندسين والبنائين من الشام والموصل والروم ،حتى أصبحت تسمى أم الدنيا وسيدة البلاد.

<u>- سياسة المنصور الخارجية:</u>

*** علاقته مع الدولة البيزنطية:**

تركزت سياسة المنصور مع البيزنطيين على رد هجماتهم على أراضي دولته ،خاصة وأنهم كانوا قد استغلوا فرصة انشغال العباسيين بمشاكلهم الداخلية للإغارة على الثغور الشمالية المحادية لدولتهم والممتدة شمالي العراق إلى البحر اللأبيض المتوسط غربا –على عهد الامبراطور قسطنطين الخامس- وعاثوا فيها فسادا وتخريبا ،الأمر الذي دفع بالمنصور إلى تحصين تلك الثغور ونظيم وسائل الدفاع فيها ،وتنقسم هذه الثغور إلى منطقتين رئيسيتين هما:

1- منطقة الثغور الجزرية: والتي خصصت للدفاع عن الجزيرة شمال العراق وأهم حصونها حصن مالطية ،والمصيصة ،وحصن مرعش.

2- منطقة الثغور الشامية: تقع غرب الأولى وخصصت للدفاع عن الشام أهم حصونها حصن طرطوس وحصن آطنة.

*** علاقته بالأمويين في الأندلس:**

اهتم المنصور بإعادة الأندلس إلى حكم العباسيين وقد كانت تحت حكم الأمويين بقيادة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بعبد الرحمن الداخل الذي استطاع الاستقلال بالأندلس بمساعدة القبائل اليمنية التي اعتقدت أنه سيكون طوع أيديهم وفي خدمتهم مقابل مساعدتهم له ،غير أنه انقلب عليهم وقرب إليه أعداءهم المضرية ،الأمر الذي أغضبهم وجعلهم يتحينون الفرصة للإطاحة به .استغل المنصور هذا الخلاف واتفق مع زعيم عربي من سكان باجة –الواقعة غرب الأندلس جنوب البرتغال حاليا- يدعى العلاء بن مغيث الجذامي ووعده بإمارة الأندلس إن هو قضى على خصمه عبد الرحمن الداخل. أخذ العلاء يدعو لطاعة المنصور ،وجمع حوله العناصر الساخطة على عبد الرحمن الداخل والناقمة عليه خاصة من اليمنيين ،ولما اشتد بأسه أعلن الثورة ضد الحكم الأموي سنة 147هـ/764م وتمكن من محاصرة عبد الرحمن الداخل –الذي خرج لمواجهته- بمدينة قرمونة قرب اشبيلية لكن عبد الرحمن الداخل تمكن من فك الحصار وقتل العلاء بن مغيث وتشتيت رجاله ،وتذكر بعض المصادر أنه أرسل رأسه إلى المنصور مع أحد حجاج الأندلس.

يضاف إلى هذه الأعمال التي قام بها أبو جعفر المنصور تنظيمه للمؤسسات الادارية والمالية للدولة ،حيث ضبط مهام الوزير وحدد صلاحياته بعد أن أصبح يدير شؤون الدواوين ،ويرفع للخليفة تقارير أعمال كل من القاضي وصاحب الشرطة وصاحب الخراج وصاحب البريد ،والوظائف الكبرى التي تلي الوزارة كالحجابة والكتابة. كما أصلح الخراج بوضع نظام المقاسمة وهو أخذ جزء من المحاصيل العينية ،كما كان المنصور متشددا محاسبا لعماله عن أي خلل أو خيانة أو اختلاس .وقد مكنه هذا من ترشيد السياسة المالية وتوفير الأموال لها حتى ترك أكثر من ستين مليون درهم وأربعة عشر مليون دينار في بيت المال.

كما قام بتنظيم الجيش وقسمه إلى قسمين هما جيش العرب وجيش الخرسانيين وكان هو قائده. ثم بعد ذلك أقنع ابن أخيه عيسى بن موسى -بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى- بالتنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي على أن تكون له أي لعيسى بن موسى من بعده وكان ذلك سنة 148هـ .وبعد وفاة الخليفة أبي جعفر المنصور سنة 158هـ/775م وهو عائد من الحج خلفه ابنه المهدي على حكم الدولة العباسية.

3- خلافة محمد المهدي (158-169هـ):

ولد المهدي سنة 126هـ وبويع بالخلافة في ذي الحجة عام 158هـ وهو يبلغ من العمر اثنان وثلاثين سنة ،وكان قد ترك له والده وصية يعرف له فيها أصناف الناس: "... إني تركت الناس ثلاثة أصناف :فقيرا لا يرجو إلا غناك وخائفا لا يرجو إلا أمنك ومسجونا لا يرجو إل الفرج منك ..."

وعملا بوصية والده انتهج المهدي سياسة اللين تجاه رعيته محاولا مداواة جراح نفوس رعيته ولم شمل أمته ،من ذلك مثلا رد الأموال التي صودرت على عهد أبيه لأصحابها ،وإطلاق سراح المسجونين السياسيين لاسيما أهل الحجاز منهم والذين عاملهم واده المنصور بشدة وقسوة لوقوفهم إلى جانب محمد النفس الزكية .وعندما حج المهدي سنة 160هـ وزع أهل الحجاز أموالا طائلة وأعاد إليهم الغلال والحبوب الواردة من الشام ومصر والتي كان المنصور قد قطعها عنهم ،كما ضم العديد منهم إلى حرسه وجنده كوسيلة لاسترضائهم وحفظ التوازن بين العرب والعجم.

فطبع عهد المهدي بالإدارة التنظيمية ورد المظالم ،وتنظيم أموال الجباية والخراج ،وتنظيم الدواوين ووضع دواوين للأزمة التي تقوم بالتفتيش والمراقبة ،كما طور الوزارة بأن ضم إليها رجال الادارة وأهل العلم والنزاهة والأمانة وفُوضت لهم كافة شؤون الدولة.

كما عمل المهدي على استرضاء أهل الشام وكسب مودتهم بزيارة بلادهم (دمشق وحمص) ،ووزع عليهم الأموال والأعطيات وألف بينهم بعد أن أزال الخلافات التي كانت قائمة بينهم.

ومن حرص المهدي على العدل بين الناس أن كان يرافق القاضي في بغداد عند النظر في المظالم.

ومن أعماله الهامة كذلك أنه أقام المدارس و المستشفيات وشق الطرقات حتى جعل من بغداد مركزا تجاريا عالميا ،وخاصة طريق الحج المؤدي إلى مكة إذ أقام على جانبيه المحطات والمصانع والحراس لحكاية الحجيج ،حتى أصبح هذا الطريق أهم خط بريدي بين العراق والحجاز واليمن معتمدا في ذلك على الأموال التي تركها والده.

*** مشكلة المهدي مع الزنادقة والهراطقة:**

أطلقت كلمتي الزندقة والهرطقة في الأصل على الديانات الفارسية المجوسية القديمة وهي الزرداشتية[9] والمانوية[10] ،وتعد هتين الحركتين من أهم المشاكل الداخلية التي اعترضت حكم

9 الزراتشتية تنسب إلى زرادتش (ق 6 ق.م) والتي تقول أن الوجود قائم على مبدأين أساسيين هما الخير والشر والنور والظلام ،وبما أن النور مصدره الشمس والشمس من نار قدسوا الشمس وعبدوها ،ولزرادتش كتاب يعرف بـ: " أفيستا ".

المهدي ،هذا اضافة إلى الحركات السابقة الذكر كالمسلمية والراوندية ،وقد واجهها المهدي بعنف وقوة إلى أن قضى على أتباعها سنة 163هـ ،غير أن مبادئها ظلت قائمة الأمر الذي دفع بالمهدي إلى إنشاء ديوان خاص بمحاربة الزنادقة خول له صلاحيات واسعة منها الحكم بالإعدام على كل من يدان بتهمة الزندقة ،كما أقام سجنا خاصا بهم .

*** سياسة المهدي تجاه العلويين:**

رغم أن المهدي –كما أشرنا إليه- عمل على التقرب من العلويين ،وأطلق سراح المسجونين منهم ورد عليهم أموالهم ،غير أنه لم يتوان عن متابعة أخبارهم ،فاستوزر يعقوب بن داوود الذي كان يقول بما يقوله الشيعة الزيدية ،وكان قد شارك في ثورة محمد النفس الزكية وكان ملما بأخبارهم ،فاستوزره المهدي ليأنس العلويون بحكمه من جهة ،وليعرف أخبارهم عن طريقه من جهة أخرى ،ولعل ذلك سبب عدم ثورة العلويين على عهده.

<u>- سياسة المهدي الخارجية:</u>

*** مع البيزنطيين:**

هي امتداد لسياسة والده العدائية ،حيث واصل تحصين الثغور المتاخمة لدولتهم ،ووجه نحوهم الحملات المتتالية قاد إحداها بنفسه سنة 165هـ مصطحبا معه ابن هارون الذي تنازل له عن قيادة الحملة بأبلستان من آسيا الصغرى بعدما عاد إلى بغداد ،وواصل هارون الحملة مخترقا آسيا الصغرى مدمرا لحصون البيزنطيين حتى وصل إلى مضيق البوسفور ،وأجبر الامبراطورة إليت -التي كانت وصية على ابنها قسطنطين السادس- على طلب الصلح وعقد هدنة لمدة ثلاث سنوات تدفع خلالها الجزية لبيت مال المسلمين.

*** مع الأمويين في الأندلس:**

انتهج المهدي مع الأمويين في الأندلس نفس سياسة أبيه حيث حاول جاهدا استرجاعها منهم ،ولتحقيق ذلك حاك مؤامرات كبرى ضدهم بالاتفاق مع ثلاثة زعماء وهم:

- عبد الرحمن بن عبد الله الفهري الملقب بالصقلي والذي كان واليا على المغرب.

- سليمان بن اليقظان بن الأعرابي حاكم سرقسطة شمالي اسبانيا والذي كان على خلاف مع عبد الرحمن الداخل بسبب معاداة هذا الأخير لليمنية وميله للمضرية.

---

10 المانوية هي فرع من الزرادتشية تنسب لمؤسسها الماني وهي تدعو إلى الزهد وعدم الزواج ،وقد كتبوا شروحات وتأويلات لكتاب زرادتش عرفت بـ: "الزند" ومنها جاءت كلمة الزندقة.

- شارلمان أقوى ملوك أوربا والذي رحب بالتحالف مع العباسيين لأن ذلك سيمكنه من مواجهة غريمه امبراطور الدولة البيزنطية ،خاصة وأنه كان يسعى للسيطرة على أوربا بإحياء أمجاد الامبراطورية الرومانية (امبراطورية روما الغربية).

وكانت الخطة المتفق عليها هي أن يغير شارلمان بجيوشه على سرقسطة التي سيسلم

ها له ابن الأعرابي ،وفي الوقت نفسه يهاجم عبد الرحمن الفهري السواحل الشرقية للأندلس وينزل بمارسية وبذلك يحاصرون عبد الرحمن الداخل ويقضون على دولته ،ثم يعلنون الأندلس تابعة للدولة العباسية ،غير أن هذه المؤامرة باءت بالفشل ،حيث تأخر شارلمان في الوصول إلى سرقسطة ،واضطر عبد الرحمن الفهري لمواجهة عبد الرحمن الداخل بمفرده فهزم شر هزيمة سنة 161هـ/778م ،ولما حل شارلمان بسرقسطة رفض أهلها تسليمها لحاكم مسيحي فثاروا على ابن الأعرابي بزعامة الحسين بن يحيى الأنصاري ،وأما شارل لومان فاضطر إلى فك الحصار الذي كان قد ضربه على سرقسطة بسبب ثورة القبائل الجرمانية في ألمانيا وارتداده إلى الوثنية ،وفي طريق عودته أخذ معه ابن الأعرابي أسيرا ،لكن مؤخرة جيشه تعرضت لهجوم من قبائل الباشكونس سكان جبال البرانس بالاشتراك مع أبناء ابن الأعرابي الذين أرادوا الانتقام لأسر أبيهم.

***و لاية العهد:**

تولى المهدي حكم الدولة العباسية وابن عمه عيسى بن موسى وليا لعهده ،لذلك سعى جاهدا لخلعه وتولية ابنه الهادي ثم هارون الرشيد من بعده ،غير أن عيسى بن موسى رفض طلبه في بداية الأمر ثم قبل به بعد أن مارس عليه المهدي ضغطا شديدا فخلع نفسه وبايع المهدي لابنه موسى الهادي سنة 159هـ ،ثم بايعه عليها لابنه هارون الرشيد سنة 166هـ ،وتوفي المهدي سنة 169هـ وخلفه ابنه الهادي .

4- خلافة موسى الهادي (169 – 170 هـ):

تولى الهادي حكم الدولة العباسية مدة قصيرة لا تتجاوز السنة ،كان أهم حدث فيها ثورة العلويين بالحجاز سنة 169هـ والتي تزعمها الحسين بن على بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب .

وكان موسى الهادي قد اتبع سياسة البطش مع العلويين وقطع عنهم الأرزاق والصلات التي كان أباه المهدي قد أجراها عليهم ،كما أمر عماله بالتضييق عليهم والتشديد في مراقبتهم.

وكان السبب المباشر لثورة العلويين هاته هو أن والي الهادي على المدينة أمر بضرب الحسن بن محمد النفس الزكية مع بعض أصحابه لأنهم شربوا نبيذا ،ثم ربطهم بحبل وطاف بهم المدينة المنورة ،وهو الأمر الذي أغضب العلويين فثاروا ضده ،وتمكن الحسين بن علي من

السيطرة على المدينة والتوجه نحو مكة وكان الموسم موسم حج فالتف حوله بعض الحجاج وانضم اليه العبيد ،واصطدم مع الجيوش العباسية في موقعة " فخ " بين مكة والمدينة سنة 169هـ والتي انهزم فيها العلويون ،وقتل الحسين بن علي والحسن بن محمد النفس الزكية وأغلب كبار العلويين الذين لم ينج منهم إلا القليل ومن بينهم ادريس بن عبد الله الكامل مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.

*** ولاية العهد:**

حاول الهادي خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد لصالح ابن أخيه جعفر الذي لازال طفلا ،غير أن هارون الرشيد رفض ذلك وبشدة ولم يرضخ لطلب أخيه رغم أسلوب الشدة والتهديد التي استعملها معه ،وثبت الرشيد على موقفه بدعم من معلمه يحيى بن خالد البرمكي ،وأمه الخيزران ،وهو على موقفه هذا توفي الهادي بعد مرض ألم به في ربيع الأول من سنة 170هـ / 786م فخلفه على حكم الدولة العباسية.

5- خلافة هارون الرشيد (193-170هـ / 786-809م):

هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ولد بالري سنة 146هـ بويع بالخلافة سنة 170هـ وعمره أربعة وعشرين سنة ،يعد من أشهر الخلفاء العباسيين وأكثرهم ذكرا في المصادر الأجنبية التي حاكت حوله هالة من الروايات التي مزجت فيها الحقائق التاريخية بالخيال القصصي. ورث هارون الرشيد عن جده وأبيه حسن الادارة وعظمة القيادة ،كان تقيا ورعا يحج عاما ويغزو عاما .

1- الأحوال الداخلية للدولة العباسية على عهد هارون الرشيد

أُعتبر عهد هارون الرشيد خير عصور الدولة العباسية ،وصلت خلاله هذه الدولة إلى درجة العالمية من حيث القوة والثراء والعلم والتطور الحضاري ،وذلك رغم الفتن التي عرفتها ،والتي من اهمها:

*** ثورة العلويين:**

تزعمها يحيى بن عبد الله العلوي الذي أعلن نفسه أميرا على اقليم الديلم ،فوجه إليه هارون الرشيد جيشا قوامه خمسين ألف رجل بقيادة الفضل بن يحيى البرمكي الذي تمكن من تسوية الأمر سلميا بعدما تمكن من المصالحة بن الرشيد ويحيى بن عبد الله.

*** ثورة علي بن عيسى بن ماهان:**

كان واليا على خرسان فتجبر وظلم وأجحف وتعسف حتى تظلم الناس منه عند الخليفة الرشيد الذي خلعه بعد جهد جهيد ،وبدهاء كبير وولى مكانه هرثمة بن أعين.

*** القضاء على الحركات الانفصالية:**

وهي حركات أرادت الانفصال عن جسم الدولة العباسية لكن هارون الرشيد كان لها بالمرصاد ،و من بينها حركة القيسية بمصر ،وثورة أهل افريقية سنة 178هـ ،وثورة رافع بن الليث التي توفي هارون الرشيد وهو في طريقه للقضاء عليها.

*** الاصلاح بين القبائل:**

سعى هارون الرشيد إلى القضاء على النعرات والصراعات القبلية خاصة ذلك الصراع القائم بين اليمنية والمضرية بالشام.

*** التصدي للخوارج:**

نشطت حركة الخوارج كثيرا على عهد الرشيد وظهرت منها فرق كثيرة ،فبد الصفرية والاباضية بالمغرب ظهرت فرقة الفضل بن السعيد والوليد بن طريف بالجزيرة ،وفرقة حمزة بن أترك بخرسان ،وهي فرق تمكن هارون الرشيد من القضاء عليها.

*** الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والإدارية على عهد الرشد:**

تطورت المؤسسات الادارية على عهد هارون الرشيد وتطورت معها شؤون الوزارة والخراج والأجهزة التابعة لها كالشرطة والرقابة ،كما تطور القضاء وتحسنت تنظيماته واتسعت سلطاته وتطورت طرق معالجته للقضايا المدنية والجنائية ،واستقلت إدارة العدل والأوقاف والمظالم ،فانتشر الأمن والاستقرار بصرامة الرجال النبلاء ونزهاتهم ،كما تطور عمران العاصمة بغداد ،وتعددت موارد الدولة بفضل حسن تنظيم الخراج والجباية.

كما ازدهرت الحركة الثقافية وتحسنت الأوضاع الاجتماعية نتيجة الرخاء الذي عم البلاد نتيجة ازدهار الزراعة وتنوع المحاصيل ،وتفعيل الحركة التجارية ،حتى أصبحت بغداد مركز اشعاع علمي وثقافي ،ومركزا تجاريا عالميا.

*** نكبة البرامكة :**

أعطى هارون الرشيد البرامكة سلطات واسعة على جميع مرافق الحياة ،حيث قدم لهم في البداية وزارة التفويض ليحيى بن خالد البرمكي وهي تعني الاستغناء عن توقيعات الخليفة عكس وزارة التنفيذ ،إلا أن الأمر استفحل معه ومع أبنائه ،فملكوا قلوب الناس واستأثروا بهم فبدأ الخليفة يفكر في وضع حد لهم نتيجة لتلك الممارسات الخاطئة والتصرفات المناقضة لمبادئ

الإسلام وميلهم الى الشعوبية فكانت نهايتهم بنكبتهم ،إذ سجنهم الخليفة جميعا ،وصادر أملاكهم وأرسل الى الولاة للقبض على أنصارهم[11] .

2- السياسة الخارجية للرشيد :

*** مع الروم:**

استمرت علاقة الحرب والعداء مع البيزنطيين حتى عهد الرشيد ، حيث واصل استكمال تحصين الثغور المتاخمة لهم ، فأقام العواصم (التي يعتصم فيها الجند) بين شمال الجزيرة وشمال الشام وجعل قاعدتها مدينة "منبج" (شمال شرق حلب) ، وجعل عليها جيشا دائما ، كما اهتم بمنطقة الثغور الشامية الواقعة على الحدود بين آسيا الصغرى وأقام فيها حصونا جديدة مثل "الهارونية " وولى عليها ابنه الثالث أبا القاسم الملقب "بالمؤتمن" ، كما وجه العديد من الحملات على مواقع البيزنطين ،وقد سبقت الإشارة الى الحملة التي قادها الرشيد ضد الإمبراطورة إيرين على عهد والده محمد المهدي .

ثم جرت العديد من المراسلات بين الرشيد ، "ونقفور" امبراطور الروم الذي رفض دفع الجزية التي كانت قد تعهدت الإمبراطورة "ايرين" بدفعها ، فخرج الرشيد في حملة ضخمة لتأديبه ، فحاصر مدينة "هرقلة" واستولى عليها سنة 806م وتوالت هزائم الجيش البيزنطي فاضطر نقفور إلى الاعتراف بهزيمته ،وتعهد بإرسال الجزية سنويا .

*** مع الفرنجة :**

جرت علاقات دبلوماسية بين الخليفة هارون وشارلمان امبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، عن طريق تبادل الوفود والسفارات والهدايا ، بدأها شارلمان سنة 797م ثم سنة 806م ، وقابله هارون بوفدين سنة 801م ثم سنة 807م ، وهذه المعلومات واردة في المصادر اللاتينية ، بينما المصادر العربية فلا تذكرها تماما ,

*** مع المغرب والأندلس :**

11 اختلف المؤرخون في تعليل أسباب نكبة البرامكة مما جعلهم يتخبطون في ذكر أسبابها ، فهناك فريق يرجعها الى استئثار البرامكة بالأموال ، وفريق آخر يرى أن سببها هو اتهامهم بالزندقة ويستدلون في ذلك بما كان يقوم به يحيى البرمكي ، بجمعه للعلماء في داره من أهل النحل والأديان المختلفة ويجعلهم يتناظرون في بحوث فلسفية مختلفة ، وفريق ثالث يرى أنهم كانوا يضمرون الخلافة الى العلويين وستدلون في ذلك بإطلاقهم سراح يحي بن عبد الله العلوي دون استئذان الخليفة وفريق رابع ومن بينهم الطبري يرجعها الى قصة العباسة أخت الرشيد ، والواقع أن نكبة البرامكة ترجع الى حد كبير الى ذلك الصراع الخفي الذي كا

ن بين حزبي العرب (الموالي للأمين وأمه) والعجم (الموالي للمأمون) والذي ظل مستمرا بعد ذلك أيام الأمين والمأمون.

كانت سياسة الرشيد تقوم على سياسة الاعتراف بالأمر الواقع في تلك البلاد ، فقرر عدم الخوض في مغامرات غير مأمونة العواقب ، لذلك اكتفى بمحالفة جاره شارلمان ، كما أقام في افريقية دولة مستقلة تابعة للخلافة العباسية وهي دولة الأغالبة ، والتي كانت تمثل دولة حاجزة لحماية أطرافه الغربية من أخطار الخوارج والأدارسة

3- نهاية الرشيد :

رغم عظمة الرجل وانجازاته إلا أنه كان يشعر دائما بضعفه أمام التيارات الخفية ، ومن ذلك ولداه الأمين والمأمون ، وصراعهما ، ومن ورائهما حزبا العرب والعجم اللذان كانا ينتظران نهاية الرشيد للإستبداد بالحكم وقد أصيب الخليفة بمرض فكان يخفيه فاشتدت علته وهو في طريقه الى خراسان للقضاء على ثروة "رافع ابن الليث" وتوفي بمدينة طوس (مشهد الحالية في شمال شرق ايران) ودفن بها في جمادى الثانية سنة 193م \ 809م.

الخليفة محمد الأمين (193 – 198هـ \809 – 813م):

بعد وفاة هارون الرشيد تولى السلطة ابنه الأمين سنة 193هـ وأمه زبيدة حفيدة أبي جعفر المنصور ، وكان الأمين وليا للعهد منذ سنة 175هـ ، حيث كان هارون قد أوصى بالخلافة من بعده للأمين فالمأمون ثم الى القاسم المؤتمن ، وبالفعل بويع الأمين خليفة والمأمون أميرا على خراسان والمؤتمن أميرا على الموصل والجزيرة ، وقد دامت فترة حكم الأمين خمس سنوات ، تميزت بالصراع والنزاع بين الحزب العربي الذي مثله الأمين ، وأمه زبيدة ووزيره الفضل بن الربيع وحزب العجم الذي مثله المأمون ووزيره الفضل بن سهل .

وقد بدأ هذا الصراع على شكل مراسلات وسفارات متبادلة بين الأخوين ، حول مشكلة العهد المعلق بالكعبة ، فالمأمون يرى في هذا النص إخلال وضرر بمصلحة الخلافة ، حيث طلب الأمين من المأمون وضع نظام للبريد تابع له في خراسان ، لكن المأمون رفض ذلك ، الأمر الذي ساهم في اتساع الخلاف بين الاخوين خاصة بعد استدعائه إلى بغداد , فرفض المأمون بحجة أن أمور خراسان تستدعي البقاء فيها وهنا طلب الأمين من المأمون التنازل عن بعض كور خراسان بحجة أن مال خراسان يكفيها غير أن المأمون رفض هذا الطلب كذلك ، فأرسل الأمين مكتوبا الى المأمون يخيره بين الرضوخ لشروطه أو التعرض للحرب غير أن المأمون لم يأبه كذلك لهذا التهديد ورد عليه بأنه لا يخشاه .

وبعد فشل هذه المفاوضات أمر الأمين سنة 195هـ بوقف الدعاء للمأمون من بعده ، فكان ذلك بمثابة خلع للمأمون ، ثم بعث من سرق الكتابين من على حائط الكعبة وأحرقهما .

وأمام هذا التصرف راح المأمون يستعد للحرب فجهز جيشا كبيرا حشده على حدود خراسان في منطقة الري ، وولى عليه قائدين : الأول هو طاهر ابن الحسين ، والثاني هرثمة ابن أعين ، أما الأمين فقد عين علي ابن عيسى ابن ماهان

*** أسبـاب الفتنة والنزاع :**

بدأ النزاع على شكل مراسلات وسفارات متبادلة بين الأخوين حول مشكلة العهد المعلق في الكعبة ومن أسباب هذا النزاع :

1 – القراءة الخاطئة لنص ولاية العهد من قبل المأمون في الاستقلال بإقليم خراسان والولايات الشرقية ،والواقع أن النص على ولاية المأمون لخراسان لا يعني استقطاع هذه الولاية من الخلافة نهائيا لذلك طالب الأمين بوضع نظام للبريد تابع له في خراسان غير أن المأمون رفض هذا الطلب لأنه يرى في ذلك تقييدا لحكمه .

2 – أم المأمون فارسية (اسمها مراجل) مما جعل أتباع المأمون كثيرين من الفرس خصوصا في الجيش ودور الفضل بن سهل في اشعال لهيب الفتنة .

3 – دور الفضل بن الربيع والطامعين في حياكة الدسائس وإشعال نار الفتنة بين الأخوين .

4 _ مطامع الخلفاء في نقل الخلافة من بعدهم الى أبنائهم لا الى إخوتهم .

*** نتائج الفتنة :**

- ضعف خزائن الدولة نتيجة تبذير وتبديد أموال الخزينة في الدولة .

- ركود النشاط الاقتصادي والتجاري في مرافق الدولة وأسواقها خاصة في العصمة بغداد.

- أحيت هذه الفتنة نار العصبية من جديد وهزت أركان الدولة الإدارة والجيش .

- بروز العنصر الفارسي المؤيد للمأمون والذي حمله الى سدة الحكم

آثار هذه الفتنة تذكرها الكتب التاريخية والأدبية

*** نـهاية الأمين :**

بعد فشل تلك المفاوضات السلمية بين الأخوين غضب الأمين من رفض المأمون لمطالبه ، فأصبح الاحتكام الى السيف أمرا لا مفر منه ، ففي أوائل سنة 195هـ أمر الأمين يوقف الدعاء للمأمون بعده وأعلن البيعة لأبنه موسى ، وأمام هذا الإعلان راح المأمون يستعد للحرب ،فجهز جيشا وحشده الى حدود خراسان في منطقة الري .

وولى عليه قائدين مخلصين هما : طاهر بن الحسين ،وهرثمة بن أعين ، أما الأمين فلن يكن موفقا في اختيار قواده ومنهم علي بن عيسى بن ماهان الذي كان واليا على خراسان أيام الرشيد فعاش فيها وفي أهلها ظلما وفسادا ،لكن هذه المعركة انتهت بهزيمة علي بن عيسى وقتله سنة 195هـ ، فأرسل الأمين جيوشا عديدة للري كان مصيرها الهزيمة والفشل.

بعد توالي الهزائم استنفذت الجيوش موارد الأمين ، فانتقلت الحرب من مداخل خراسان الى مداخل بغداد ، فاشتد الحصار عليها ، وحدثت معارك ضارية بين الفريقين اضطرت الأمين الى طلب الأمن والاستسلام ،رغم المقاومة التي أبلاها جماعة العيارين أو الفتيان .

خرج الأمين وأتباعه عابرين نهر دجلة في سفينة صغيرة انقلبت بسبب الزحام ، فاستطاع الأمين الوصول الى الشاطئ وهناك قتله بعض الجنود الخراسانيين ثم أرسلوا رأسه الى المأمون ، فانتهت خلافة الأمين .

الخليفة عبد الله المأمون : (198- 218)هـ \ (813 -833):

ولد المأمون سنة 170هـ في اليوم الذي ولى فيه أبوه الخلافة ، وكانت أمه أم ولد فارسية تدعى مراجل ، اشتراها الرشيد لتلد له لأن زبيدة أبطأت في الحمل فولدت له "عبد الله المأمون " ، ثم حملت زبيدة بعدها بقليل وولدت له "محمد الأمين " ، فنشب الصراع بين الوالدتين ، ثم ما لبث هذا الصراع أن انتقل الى الحاشية وسائر رجال الدولة ، فانقسموا الى حزبين عربي وأعجمي ، وانتهى الصراع بمقتل الأمين وتولية المأمون سنة 198هـ \ 813م

*** سياسة المأمون الداخلية :**

جمعت سياسة المأمون بين مواقف متناقضة فتارة كان يميل الى الفرس وتارة الى العلويين ، وتارة أخرى إلى السنة وأهلها وذلك سعيا منه لإرضاء جميع الأطراف والتغلب على الصعاب

ونظرا لتحيز المأمون للفرس غضب أهل العراق من بني هاشم ووجوه العرب ، فقامت ثورة عربية عراقية تزعمها أبو السرايا ابن منصور الشيباني ، وقد انضم الى هذه الثورة عددا كبيرا من العلويين الناقمين على بني العباس ، فنجح أبو السرايا أول الأمر نجاحا كبيرا وانتصر على الجيوش التي أرسلها الحسن بن سهل والي العراق ، فاستولى على البصرة والقادسية ، فاضطر الحسن بن سهل الى الاستعانة بهرثمة بن أعين للقضاء على هذه الثورة وبالفعل تمكن هذا الأخير من اخمادها وقتل قائدها وتشريد أتباعه سنة 201هـ .

أما عن العلويين فسياسة المأمون تجاههم اتسمت بالعطف والتسامح ، ولعل المأمون بذلك أراد أن يتلافى عواقب السياسة القاسية التي طبقها أجداده العباسيون نحوهم من قبل .

ونظرا لكون أمه وزوجته فارسيتين ، والفرس يعتقدون أن العلويين هم وحدهم أحق بالخلافة بسبب صلة النسب التي تربطهم بآل علي منذ أن تزوج الحسين بن علي ابنة "يزد جرد" الثالث ملك الفرس الساساني وتبعا لذلك استقدم المأمون سنة 201هـ الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق (وهو الإمام الثامن عند الإمامية الإثني عشرة) وبايعه بولاية العهد ، ولقبه بالرضا من آل محمد ، وزوجه ابنته أم حبيب وطرح السواد شعار العباسيين ، ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين ، وأغلب الظن أن المأمون أراد بذلك كسب رضاء العلويين

والخراسانيين على السواء ، إلا أن العراقيين ثاروا ضده ورفضوا مبايعة " علي الرضا " فخلعوا المأمون وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي خليفة عليهم ولقب بالمبارك .

لم تكن أخبار هذه الفتنة تصل الى المأمون لأن وزيره الفضل بن سهل كان يتعمد اخفاءها عنه ، غير أن "علي الرضا " ولي عهده أخبره بما يجري لذلك خرج المأمون من مدينة "مرو" إلى "طوس" ، وفي طريقه قضى على وزيره "الفضل بن سهل" ، وفي طوس توفي صهره "علي الرضا" ، ثم بعدها قرر المأمون دخول بغداد سنة 204هـ ، حيث أقبل الناس على مبايعته والترحيب به ، فعفا "المأمون" عن عمه ابراهيم بن المهدي ، ثم عزل " الحسن بن سهل " من ولاية العراق ، وأمر الناس بلبس السواد مرة ثانية ، وفي سنة 205 عين المأمون "طاهر بن الحسين" واليا على خراسان التي استمر الحكم فيها لأبنائه من بعده ، فقامت بذلك في خراسان أول إمارة شبه مستقلة في الدولة العباسية وهي الدولة الطاهرية .

*** ثورة الأقاليم :**

أدى ضعف السلطة المركزية في بغداد نتيجة الفتن والحروب التي تخللت عصر الأمين وأوائل عصر المأمون ، الى فتح المجال أمام الولاة فتهاونوا وأثقلوا كاهل الرعية بالضرائب مما أدى الى ظهور اضطرابات في أقاليم عديدة من الدولة منها :

1- مـــصـــر:

انتقلت عدوى الخلافات بين الأمين والمأمون فانقسم المجتمع الى ثلاث فرق ، فريق يؤيد الأمين ، وفريق آخر مع المأمون ، وفريق ثالث بزعامة السري بن الحكم وأولاده والذي كان يسعى الى الاستقلال وقد صادف ذلك أن قامت ثورة في الأندلس ضد أميرها الحكم الأول الأموي وهي المعروفة بثورة "الربض" ضواحي قرطبة ، وقد عاقبهم هذا الأمير بهدم ديارهم ، وحرق خيمهم ونفيهم من الأندلس ، فعبر بعضهم الى المغرب مستقرين بفاس عاصمة الأدارسة وشاركوا في بنائها وتعميرها ، أما البعض الآخر فقد واصلوا سيرهم في البحر شرقا وصولا الى شواطئ الإسكندرية فنزلوا بها أوائل عصر المأمون ، ثم استولوا عليها مؤسسين فيها إمارة أندلسية مستقلة عن العباسيين دامت أكثر من عشر سنوات ، فأرسل إليهم المأمون قائدهم عبد الله بن طاهر بن الحسين الى مصر سنة 212م \ 828م الذي استطاع اقناع الأندلسيين بمغادرة

مصر ، فتوجهوا الى جزيرة كريت التابعة للبيزنطين واستولوا عليها بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر البلوطي .

غير أن الأوضاع في مصر لم تستقر بعد ذلك بسبب تعسف الولاة وفداحة الجزية على كاهل المصريين ، ففي سنة 216هـ قام الأقباط بثورة خطيرة استمرت ثمانية أشهر مما اضطر الخليفة الى التدخل شخصيا لحلها ، فتوجه المأمون من الشام الى مصر ، فعزل واليها "عيسى ابن منصور " بعدما أسبه ، ورغم سياسة اللين التي انتهجها المأمون تجاههم إلا أنه اضطر الى استعمال العنف والشدة لإخماد هذه الثورة

كما قامت القبائل والعشائر العربية في الشام والجزيرة بثورات مختلفة بقيادة زعيم عربي اسمه "نصر بن شبث" غير أن القائد عبد الله بن طاهر استطاع تهدئتها بالحزم والشدة تارة وبالإصلاح واللين تارة أخرى حيث رفع عنهم الكثير من الضرائب .

2- ثورة الـزط :

قامت في جنوب العراق نواحي البصرة ، والزط هم جيل من السند في شمال غرب الهند ،انتقلوا الى الخليج العربي ، والزط هو تعريب للكلمة الفارسية (جت) jat،وأغلب الظن أنها هي نفسها أصل الإسم الذي يطلق على الغجر أو النور في اسبانيا وهو "خيتانو" jitanos أو في انجلترا " Gipsies" وقد تكاثر عدد الزط وتزايدت قوتهم أيام فتنة الأمين والمأمون فأرسل اليهم المأمون عدة حملات في سنتي 205 و 206 هـ ، غير أنه لم يستطع القضاء على ثورتهم ، فاستفحل أمرهم وأصبحوا يفرضون المكوس على السفن الداخلة الى بغداد ، وحالوا دون وصول

الأغذية إليها واستمروا في ذلك الى أن قضى عليهم القائد العربي "عجيف بن عنبسة" في عهد الخليفة المعتصم الذي أمر بنفيهم الى مدينة عين زوربة بالثغور الإسلامية بآسيا الصغرى .

*** النهضة الفكرية في عصر المأمون :**

ازدهرت الحياة الفكرية والثقافية على عهده بفضل مجهوداته حيث ساهم في تفعيلها بنفسه حتى أنه قيل أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام وحكيم بني العباس ومن مظاهر هذه النهضة :

- جمع التراث القديم للأمم خاصة اليوناني حيث أرسل بعثات من العلماء الى القسطنطينية وجزيرة قبرص لجمع نفائس الكتب ونقلهم الى بيت الحكمة في بغداد .

- إقامة بيت الحكمة الذي كان يمثل معهدا علميا يضم مكتبة لنسخ الكتب ودارا لترجمتها الى العربية ، وكان له مدير ومساعدون ومترجمون ومجلدون للكتب .

بلغ شغف المأمون بالثقافة الإغريقية أن "أرسطو" ظهر له في المنام مؤكدا له أنه لايوجد تعارض بين العقل والدين لذلك نجده يؤيد فرقة المعتزلة .

*** حركـــة الإعتزال :**

من أهم الحركات في تاريخ الفلسفة الإسلامية وهي تمثل ا تجاها عقليا حرا وتسمية الإعتزال يختلف فيها المؤرخون ، فالبعض يرجعها الى اعتزال واصل

بن عطاء وعمرو بن عبيد حلقة أسد الحسن البصري بسبب اختلافهما معه في بعض المسائل الفقهية والبعض الآخر يرى أن الإعتزال للفرقة نفسها لأنها اعتزلت أي خالفت الأقوال السابقة فأحدثت رأيا جديدا ، غير أن المعتزلة نفسهم لم يرضوا عن هذه التسمية وكانوا يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ، ومن أفكارهم :

مسألة الجبر والاختيار أي هل الإنسان مخير أو مسير ، أو هو الإنسان حر الإرادة يعمل

ما يشاء وأنه مسؤول عن عمله ، أو أنه مجبر في أعماله ، وأن القدر هو الذي يحكم جميع

أعماله من خير وشر ، وأن الله كتب له أعمالا لا بد أن تصدر منه ، وهو الذي قدر له أن

يجزى أو يعاقب لأنه عالم بكل شيئ ، وعالم بما يصدر عن كل فرد من خير أو شر لذلك سمي هؤلاء الذين يقولون بأن الإنسان حر الإرادة وله قدرة على أعماله بالقدرية أو المعتزلة ، بينما عرفت الطائفة الأعزلية بالجبرية أو السلفية .

يقولون بالعدل : لأنهم نزهوا الله من أنه كتب على الناس المعاصي ثم عذبهم عليها ، فالإنسان حر فيما يفعل لهذا هو يجاز أو يعذب وهذا عدل ، فالناس هم الذين يقومون بأعمالهم ولذلك يثابون أو يعاقبون ، والله تعالى من هنا كان عادلا ويوصف بالعدل .

يقولون بالتوحيد : لأنهم ينفون أن يكون لله صفات من غير ذاته أو زائدة عن ذاته ، كالسمع والبصر والقدرة والعلم ، بل الله سميع بصير عالم قادر بذاته وليست هناك صفات زائدة عن ذاته ، وصار القول تعديدا لله من ناحية وتجسيدا أو تجسيما له من ناحية أخرى ، والله واحد لا شريك له منزه عن تلك الصفات التي تشبهه بالمخلوقات ، لذلك قالوا بضرورة تأويل تلك الصفات وعدم الأخذ بظاهرها . ومن هنا قالوا بأن القرآن مخلوق كسائر المخلوقات ، وليس كلاما قديما أزليا لم يخلقه الله ، لأن الله وصفاته وحدة لا تقبل التجزئة .

_ وقد نشأت حركة الاعتزال في البصرة ،و سرعان ما انتقلت الى كامل العراق ، فكانت حركة دينية فكرية ثم أصبحت حركة سياسية متأثر بالشيعة في قولهم بحرية الإرادة وتأويل النصوص.

*** المأمون والمعتزلة :**

نظرا لتأثر المأمون بالفلسفة الإغريقية فإنه قد أيدهم في آرائهم لأنهم أكثر حرية وأكثر اعتمادا على العقل خاصة في قضية خلق القرآن واستغل نفوذه في حمل الناس على القول بذلك وعقاب من لايقول بخلقه.

ومن جهة أخرى شجع المأمون المناظرات الكلامية والبحث العقلي في المسائل الدينية كوسيلة لنشر العلم وإزالة الخلاف بين العلماء فقوي نفوذ العلماء في عهده ومنهم ابراهيم النظام (ت 220هـ) وأبو الهذيل العلاف (ت 235هـ) وأبو عثمان الجاحظ (ت 254هـ) والحسن البصري (ت 241هـ)

- **السياسة الخارجية للمأمون :**

1- مع الفرنجة:

استمر المأمون في سياسة الود والتفاهم التي كانت سائدة على عهد أبيه الرشيد ، حتى بعد وفاة شارمان وتولى ابنه لويس التقي سنة 814م ، والذي أرسل سفارة الى البلاط العباسي أيام المأمون سنة 216هـ \ 813م

2- مع الـروم:

استمرت السياسة العدائية للعباسيين تجاه البيزنطين على عهد المأمون ، حيث استغل المأمون فرصة الفتنة الداخلية التي تزعمها "توماس الصقلي" ضد الإمبراطور البيزنطي "ميخائيل الثاني " سنة 821م ، وأخذ يمده بالمال والسلاح كي يعينه على فتح القسطنطينية ، إلا أن أخبار هذه الإتصالات كشفت من قبل البيزنطين فانتهى الأمر بهزيمة توماس الصقلي وقتله على أبواب القسطنطينية سنة 823م .

ولم يتوان المأمون عن قيادة جيوشه بنفسه و التوغل في الأراضي البيزنطية بآسيا الصغرى ،و قد كانت وفاته في آخر غزوة من غزواته بالأراضي البيزنطية شمالي مدينة طرطوس لإصابته بالحكى هناك .

3- مع بلاد المغرب:

استمر المأمون في علاقته بدولة الأغالبة في افريقية على أساس الاستقلال الذاتي مع التبعية للخلافة العباسية و كان زيادة الله الأول بن ابراهيم بن الأغلب (201-223هـ) حليفا مخلصا للمأمون ،و في عهده تم فتح جزيرة صقلية التابعة للبيزنطيين تحت قيادة أسد بن الفرات بن سنان سنة 213 هـ / 828 م .

*** نهاية حكم المأمون:**

توفي المأمون في احدى غزواته ضد البيزنطيين قرب طرسوس كما ذكرنا سنة 218 هـ / 833 م و هو في الثامنة والأربعين من عمره بعد خلافة عشرين (20) عاما ،وكان قد عهد بالخلافة من بعده لأخيه أبي اسحاق المعتصم بالله .

عهد الخليفة أبو اسحاق المعتصم (218 - 227 هـ / 833 – 842 م):

عرف عن الخليفة المعتصم بالله شجاعته و قوة شخصيته ثبات خلقه، و هذا ما جعل المأمون يقدمه عن ابنه العباس في ولاية العهد، و قد سارع العباس الى مبايعة عمه المعتصم احتراما لوصية أبيه ليقطع الطريق على فريق من الجند كان يرفض حكم المعتصم ،و يدعم العباس ،و بذلك جنب الدولة العباسية فتنة حقيقية.

رغم الصفات النبيلة التي تميز بها المعتصم إلا أنه كان محدود الثقافة ،ضعيف الكتابة.

*** مميزات عصر المعتصم:**

1 – جلب الجند الأتراك من أقاليم ما وراء النهر (نهر جيحون) ،من سمرقند ،فرغانة ،أشروسنة ،و خوارزم ،إما عن طريق الشراء ،أو الأسر ،أو الهدايا ،فأصبحت بغداد تعج بالجند

الأتراك الأمر الذي أثار سخط أهاليها ،و هو ما دفع بالمعتصم الى بناء مدينة جديدة لهؤلاء الجند ،هي مدينة **سمراء** (حوالي 100 كلم شمالي بغداد) . ولعل سبب ميل المعتصم للعنصر التركي هو رغبته في التخلص من الصراع العربي الفارسي حول النفوذ ،كما أن أمه (ماريدة أو ماريا) كانت تركية .

2 – القضاء على الثورات الداخلية :

و منها **ثورة الهنود الزط** جنوب العراق و التي قضى عليها القائد العربي **عجيف بن عمبسة** سنة 220هـ ،و ثورة **بابك الخرمي الفارسي** التي اندلعت بالمناطق الجبلية بالنواحي الشمالية من اقليم أذربيجان ،و التي قضى عليها القائد الفارسي **حيدر بن كاوس** الملقب ب**الأفشين،** الذي تخلص منه المعتصم بعد قضائه على ثورة بابك الخرمي .

3 – انتصاره على البيزنطيين في عمورية بآسيا الصغرى سنة 232هـ/838م و التي كانت بعد أن أغار الامبراطور البيزنطي تيوفال على مدينة زوبيترا الواقعة بالثغور الاسلامية الشمالية ،و خربها ،وقتل رجالها ،و سبى نساءها و أطفالها ،فغضب المعتصم لذلك أشد الغضب خاصة بعد استنجاد امرأة هاشمية من السبايا " وا معتصماه " فجهز جيشا عظيما توجه به إلى أنقرة فخربها ثم حاصر عمورية قبل أن يفتتحها عنوة ،فخربها و أسر من بها ،و قد وصف الشاعر أبي تمام هذه المعركة في قصيدة مطلعها:

السيف أصدق أنباء من الكتب *** في حده الحد بين الجد و اللعب

وقيل أن المعتصم كان ينوي مواصلة تقدمه إلى القسطنطينية لولا أن بلغته أنباء عن مؤامرة ضده من طرف ابن أخيه العباس و قائد جنده عجيف بن عمبسة ،فاضطر الى العودة للقضاء على هذا التمرد ،حيث ألقى القبض عليهما وسجنهما الى أن توفيا في سجنهما. و لم يلبث المعتصم بعد ذلك طويلا حيث أصيب بمرض قضى عليه أوائل سنة 227هـ/842م.